Journal Of the Iraqia University (74-4) November (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

العلاقات الدبلوماسية بين الامبراطورية الكارولنجية والدولة العباسية في عهد شارلمان (٧٩٧-٨١٤ م).

م .م سجى محمد علي مجيد

جامعة بغداد / كلية التربية للبنات

Diplomatic Relations Between the Carolingian Empire and the Abbasid Caliphate During the Reign of Charlemagne (797-814 AD)

Saja Mohammed Ali Majeed
University Of Baghdad- College Of Education for Women
Saja.m@coeduw.uobaghdad.edu.iq

Abstract

The study explores the evolving diplomatic relations between the Christian West and the Muslim world, rooted in political and economic interests. These interactions transcended military and religious confrontations, fostering intellectual and cultural exchange. Following the fall of al-Andalus, relations gradually shifted from hostility to cooperation, particularly during Charlemagne's reign. His era marked the establishment of structured political and economic ties that enhanced communication between the two civilizations. Such exchanges significantly contributed to the West's intellectual and cultural development, enriched by the legacy of the Arabs and Muslims in al-Andalus..

Keywords: (Harun al-Rashid – Charlemagne – Diplomatic Relations)

المستخلص

جمع الغرب المسيحي والعرب المسلمين علاقات دبلوماسية مبنية على مصالح سياسية واقتصادية شهدت تطورا ملحوظا على كافة الاصعدة ، وتأتي اهمية الموضوع في الكشف عن هذه العلاقات التي لم تكن فقط مجرد صراعات عسكرية وانا تجاوزتها الى ابعد من ذلك ، فقد اتسمت العلاقة في البداية كونها عدائية للخطر الذي شكله المسلمين على الغرب الاوربي خاصة بعد الاستيلاء على الاندلس لكن سرعان ما تحولت هذه العلاقة الى علاقة ودية مع الشرق الاسلامي خاصة في عهد شارلمان الذي ادرك ضرورة قيام علاقات سياسية واقتصادية تنعش الاقتصاد الفرنجي وتعزز اواصر الصداقة بين الجانبان خاصة بعد التطور الفكري والثقافي الذي شهدته بلادهم نتيجة احتكاكهم بالعرب المسلمين في الاندلس.**الكلمات الافتتاحية : (هارون الرشيد _ شارلمان _ العلاقات الدبلوماسية).**

المقدمة :

ان للعلاقات الدبلوماسية بين بلدان العالم المختلفة اثر كبير في تحسين الاوضاع السياسية والاقتصادية للبلاد وعامل مهم في عملية التبادل الثقافي والمعرفي بينها ، والمجتمع الاوربي خلال القرون الوسطى كان مجتمعا بدائيا يعيش ظلمة العصور الوسطى من جهل وتخلف وتدهور في الاوضاع السياسية والاقتصادية خاصة بعد سقوط الامبراطورية الرومانية .ونتيجة تمكن العرب من فتح الاندلس والاستقرار فيها بدأت مظاهر الحضارة العربية تنتقل الى الغرب الاوربي ، حيث قام الغربيون بترجمة العديد من الكتب العربية واهتموا بعلوم العرب ومعارفهم وبدأ طلاب العلم والمعرفة الذهاب الى الاندلس لتلقي العلوم هناك ، فكانت هذه بداية العلاقة بين الجانبين . تمثلت العلاقات السياسية بين الاوربيون والعرب في بادئ الامر بإقامة حملات عسكرية من الجانب الافرنجي الذين هددهم وجود العرب في الاندلس واستمرارهم في الزحف نحو بلادهم ، وكانت اولى هذه الحملات حملة شارل مارتل في معركة بواتييه (بلاط الشهداء) التي اوقفت الزحف العربي الاسلامي داخل بلاد الافرنج وتمكن شارل مارتل من تحقيق الانتصار على المسلمين .وعلى الرغم من الخلاف السياسي بين الافرنج ومسلمي الاندلس فقد كانت هناك صلات دبلوماسية

بينهم خاصة في عهد شارلمان ، حيث شهد عهده اقامة علاقات ودية مع الشرق الاسلامي وتحديدا مع مركز الخلافة الاسلامية في عهد هارون الرشيد وكانت علاقة شارلمان هي امتداد لعلاقة والده بيبن مع المسلمين ، واستمرت هذه العلاقات حتى بعد حكم شارلمان ومجئ ابنه لويس التقي الى الحكم حيث تبادل الطرفان الهدايا والسلع الثمينة وكان الهدف منها حصول شارلمان على حق حماية الاراضي المقدسة وهدف هارون الرشيد حماية المصالح العباسية .ولم تقتصر العلاقات الدبلوماسية على الجانب السياسي فحسب فقد مهدت الطريق الى علاقات اقتصادية بين العرب المسلمين والكارولنجين حيث تبادل الطرفان السلع والمنتوجات في بلادهم اسهم في انتعاش الحياة الاقتصادية وتنشيط الحركة التجارية فكانت للعلاقات الاقتصادية الاثر في تعزيز اواصر العلاقات الدبلوماسية بين الجانبان ، كما كانت للعلاقات الثقافية والاجتماعية عاملا مهما في عملية التبادل الفكري والثقافي واتساع رقعة العلم والمعرفة التي استفاد منها الغرب الاوربي حيث كان العرب ذو حضارة عظيمة اسهمت في انتشار العلوم لدى المجتمع الغربي، فكان للتطور السياسي والاقتصادي انعكاسه على الجانب الاجتماعي والثقافي .

اشكالية البحث :

هل شكلت العلاقات الدبلوماسية حافزا في تطوير الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية أم هي فقط لحماية المصالح السياسية ، هذا ما نحاول الاجابة عليه .

فرضية البحث:

مثلت العلاقات الدبلوماسية حافزا لتطور الاوضاع سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ، ولم تقتصر على جانب واحد .

اهمية البحث:

تأتي اهمية هذا البحث في ابراز دور العلاقات الدبلوماسية ، حيث لم تكن العلاقات بين العرب والفرنجة مجرد صراعات عسكرية بل هناك تواصل سياسي ودبلوماسي ساعد على تطور العلاقات الاقتصادية والاجتماعية ، وهذا النوع من الدراسات يساعد على فهم جذور العلاقات بين العالم العربي وأوروبا .

هيكلية البحث:

تكون البحث من مقدمة وثلاث محاور تناول المحور الاول العلاقات السياسية وما شهدته البلاد من حروب وحملات عسكرية تارة خاصة في الاندلس وعلاقات دبلوماسية قائمة على الود وتبادل الهدايا تارة اخرى خاصة مع المشرق الاسلامي ، اما المحور الثاني فكان عن العلاقات الاقتصادية وما شهده المجتمع الغربي من نقل للمنتوجات العربية خاصة التوابل والحرير اثر في تنشيط الحياة الاقتصادية خاصة ان المجتمع الغربي كان يعتمد فقط على الزراعة فكانت التجارة عاملا مهما في انتعاش البلاد، وهذا يوضح اهمية العلاقات السياسية السلمية التي فتحت الباب للتبادل الاقتصادي والتجاري.

وتناول المحور الثالث العلاقات الثقافية والاجتماعية حيث صاهر العرب العديد من ملوك الغرب الاوربي ، أي ان اغلب امهات المسلين كانوا مسيحيات وكان ملوك الافرنج يتنقلون الى بلاد الاندلس لزيارة بناتهم ، اضافة الى انتقال طلبة العلم لدراسة في الاندلس اسهموا في نقل مظاهر الحضارة العربية الى بلادهم، وبذلك لم تكن العلاقات الثقافية بمعزل عن التطورات السياسية والاقتصادية وانما كانت مكملة لها .

المحور الأول العلاقات السياسية:

شكلت الفتوحات الاسلامية في افريقيا حافزا نحو توجه انظار الفاتحين الى الاراضي الاسبانية التي لم يكن يفصلها عن بلاد المغرب سوى خليج يمكن عبوره بسهولة والقيام بحملات لتوسيع رقعة الامبراطورية الاسلامية ، وبعد العديد من الحملات العسكرية تمكنوا من فتح بلاد المغرب (راشد، ٢٠٢٠، صفحة ٥١)وتختلف الغزوات العربية التي شنها العرب على أوروبا في اهدافها ونتائجها عن باقي الغزوات الاخرى منذ مطلع القرن السابع الميلادي، ونجحوا في تهديد العالم الروماني والسيطرة على اجزاء واسعة منه (سعيد عبد الفتاح عاشور ، ١٩٧٢، ص ٩٤-٩٥) فقد نجح العرب في فتح شبه الجزيرة الايبيرية (اسبانيا) ، وتمكنوا من اتمام فتح الجزيرة في اربع سنوات وذلك لنشر الدين الاسلامي (الحجي، ١٩٨١، صفحة ٣٣) وهذا ما مهد لقيام العلاقات السياسية لاحقا.كان لسيطرت العرب السياسية على البلاد ونشرهم الدين الاسلامي واقامة المراكز الحضارية الكبرى التي قصدها طلاب العلم والمعرفة من مختلف انحاء العالم اثر في زيادة نفوذهم السياسي في البلاد، فصحت أوروبا من وحشة العصور المظلمة لتجد نفسها امام حضارة اسلامية زاهرة وشامخة البناء ، وزاد تدفق الاوربيون من طلاب العلم خاصة الى الاندلس واخذوا يترجمون الفلسفة والعلوم والرياضيات وغيرها من الوان النشاط الفكري (عاشور، ١٩٧٢، الصفحات ١٠٥-١٠٧) تواصلت الفتوحات

العربية الى اسبانيا عام ٧١١م ، وفي عام ٧٢٠م عبروا جبال البرانس وفتحوا ناربون ، وفي عام ٧٣٢م توغلوا الى مدينة تور ، فأدرك شارل مارتل(مؤسس الاسرة الكارولنجية وهو الابن الغير شرعي لبيبن الهرستالي، لقب بالمطرقة لانتصاره على المسلمين في معركة بلاط الشهداء .انظر : (عمران، ٢٠١٣، صفحة ١٥٣).خطر المسلمون فتوجه للقائهم في معركة (بلاط الشهداء) وانتصر عليهم في العام نفسه (المجيد، ٢٠١٥، صفحة ١٢٩).تمكنت هذه المعركة من ايقاف الزحف الاسلامي باتجاه أوروبا كما تمنى بعض المؤرخين الغربيين عدم الانتصار في هذه المعركة لإيصال الحضارة الاسلامية الى أوروبا (محمود، ٢٠١٢، صفحة ٥٥). نلاحظ ان هذه المعركة لم تكن مجرد حدث عسكري بل منعطف سياسي ، حيث اوقفت الزحف الاسلامي في اوروبا من ناحية واسست لصعود الدولة الكارولنجية كقوة سياسية من ناحية اخرى ، حيث دفعت الكارولنجيين والعباسيين لاحقا الى اقامة علاقات تحالفات السياسية.

علاقة الفرنجة بالعباسيين :

كان لقيام الدولة العباسية اثر سقوط الدولة الاموية في المشرق الاسلامي حدوث تغيرات عديدة منها: ظهور الدولة الاموية في الاندلس على يد عبد الرحمن الداخل (هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ، سمي بالداخل لكونه اول من دخل من الامويين الى الاند لس .انظر : (الهادي، ٢٠٢٠، صفحة ٢٦١) ، انتهجت بيبن القصير ابن شارل مارتل سياسة جديدة اتجاه الدولة الاسلامية في بغداد بعد توليه الحكم تمثلت هذه السياسة في أرسال سفارة الى الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور الذي قام برد السفارة الى الملك بيبن القصير وكان غرض هذه السفارات هو حماية الشواطئ الفرنجية المطلة على البحر المتوسط التي استعادها بمشقة كبيرة من مسلمي الاندلس (راشد، ٢٠٢٠، صفحة ٨٩) . وهذه كانت بداية العلاقات السياسية بين الجانبين. قسمت المملكة بعد وفاة بيبن المملكة بين ابناءه(شارلمان وكارلمان) ، وشارلمان الابن الاكبر للملك بيبن ولد عام ٧٤٢م(محمود عبد الواحد محمود، ٢٠١٢ ، ص ٧٤) وكان في نزاع مستمر مع العرب المسلمين في الاندلس لكن علاقته مع الدولة العباسية في الشرق كانت مكملة للسياسة التي انتهجها والدة ، وهي علاقات دبلوماسية اذ جمعته علاقة ودية مع الخليفة العباسي هارون الرشيد وارسل له وفدا عام ٧٩٧م وعام ٨٠٢م وتلقى من الخليفة رسلا عام ٨٠١ م وعام ٨٠٧م ، واهداه هارون الرشيد هدايا اعجبت الغربيين منها فيل وخيام وساعة مائية وشطرنج من العاج ، وادت المفاوضات بين الطرفين عام ٨٠٧ م ان يمنح الخليفة العباسي هارون الرشيد شارلمان حق حماية الاماكن المقدسة في فلسطين مع المؤسسات المسيحية فيها والسكان والزوار المسيحيين في الاراضي المقدسة (حاطوم، ١٩٨٢، الصفحات ١٧٩-١٨٠). تميزت سياسة الخارجية لشارلمان بالحكمة والبراعة واقامة العلاقات الطيبة مع الملوك الاخرين من اجل رفع شأن المملكة الكارولنجية ، لذا كان هو من المبادر الاول في الاتصال بالخليفة العباسي هارون الرشيد وارسال السفارة له ، ووصل السفراء البلاط العباسي في بغداد واعطاء الخليفة هارون الرشيد هدايا سيدهم وكانت عبارة عن عباءة من الصوف حيكت في الورشة الخاصة بشارلمان وكلاب صيد تميزت بالرشاقة (راشد، ٢٠٢٠، الصفحات ٩٤-٩٥) وكانت لهذه الهدايا اثر في تعزيز اواصر الصداقة وتوثيق للعلاقات الدبلوماسية بينهم.وان هذه العلاقات الدبلوماسية التي جمعت هارون الرشيد بشارلمان هي علاقات ودية جعلتهما يتبادلان الهدايا والرسل ويجامل احدهم الاخر في احيان كثيرة ، ويعتقد بعض الباحثين وجود هذه العلاقة فعليا وينكر وجودها البعض الاخر ويرى انه لا توجد أي علاقة تربط هارون الرشيد بشارلمان وان ما نسب اليهم هي مجرد خرافات ابتدعها الرهبان والمؤرخين في العصور الوسطى من اجل تعظيم شارلمان ، لأن الكتب العربية كآثار الطبري وابن الاثير وابن خلدون خالية من أي اشارة الى العلاقات بين هارون الرشيد وشارلمان (واخرون، ١٤٣٤هجري، صفحة ٥٦). اما اينهارد مؤرخ شارلمان فيؤكد في كتابه (سيرة شارلمان) وجود علاقة جمعت شارلمان مع هارون الرشيد ، وبنى علاقته معه على الاحترام والكرم ويؤكد وجود سفارات ارسلها الى هارون الرشيد وتبادل الهدايا بينهم (اينهارد، ١٩٨٩، الصفحات ١٠٤-١٠٥). وتناقلت العديد من المصادر الاوربية في العصور الوسطى رحلة شارلمان الى الشرق التي تدور حول رحلة قام بها شارلمان الى الشرق للحج مع ثمانون الف جندي عبروا بلاد الغال وايطاليا واليونان وصولا الى الاراضي المقدسة ، وقام بطريرك بيت المقدس والخليفة العباسي هارون الرشيد باستقباله ومرافقته لزيارة كنيسة القيامة (راشد، ٢٠٢٠، الصفحات ١١٣-١١٤). ولم تقتصر علاقة شارلمان في الشرق مع الخلافة العباسية فقط ، وانما كانت لشارلمان علاقة ودية مع بطرياك بيت المقدس وكان بينهما تبادل المبعوثين والهدايا (محمود، ٢٠١٢، صفحة ٢٠٦).

توفي هارون الرشيد في عام ٨٠٧ م /١٩٢هـ وتوفي شارلمان بعده بسبع سنين أي في عام ٨١٤ م ودامت الصلات الودية في عهد ابنه لويس التقي الذي كان بينه وبين الخليفة المأمون سفارة ارسلها الية سنة ٨٣١ م (واخرون، ١٤٣٤هجري، صفحة ٦١).وعلى نقيض من العلاقة الجيدة مع العباسيين ، كانت العلاقة بين شارلمان والامويين في الاندلس عدائية ، فقد حارب شارلمان الوجود الاسلامي في الاندلس سيرا على نهج جده شارل مارتل ووالده بيبين الذي قام باستيراد مدن مهمه من المسلمين في جنوب غالة اهمها اربونة وانحسارهم الى جنوب جبال البرت ،

فكانت الحرب مع المسلمين ارث عائلي قبل تولي شارلمان الحكم (دلباني، ٢٠٢٤، صفحة ٣٢) وبالرغم من حالة العداء الدائم بين الفرنجة ومسلمي الاندلس الا ان شارلمان ادرك ان اقامة العلاقات السياسية والاقتصادية السليمة من شأنه ان ينعش اقتصاد دولة الفرنجة خاصة بعد نجاح عبدالرحمن الداخل في بناء اقتصاد مزدهر ، من جانب اخر ادرك عبد الرحمن ان الحرب مع الفرنجة غير مجدية خاصة بعد معرفته بالعلاقات الدبلوماسية بين الرشيد وشارلمان وخشيته من اقامة تحالف بينهم ضده في الاندلس لذا عزم على عقد معاهدة الصلح التي بقيت سارية المفعول طوال السنوات الباقية من حياة عبد الرحمن الداخل والسنوات الاولى من عهد ابنه هشام المرتضى ، الا ان الفرنجة اخذو بشن الهجمات بين الحين والاخر ويحرضون المسيحين في الشمال ضد حكومة قرطبة كما ارسلوا العديد من الحملات هاجمت شمال اسبانيا سنة ٧٩٢م مما اضطر هشام بن عبد الرحمن أرسال جيش كبير اجتاز جبال البرت وهاجم سبتمانيا ثم عاد الى قرطبة (محمود، ٢٠١٢، الصفحات ١٧٩-١٨٠) . وبذلك نلاحظ ان العلاقات السياسية بين الفرنجة والمسلمين لم تكن على وتيرة واحدة وانما كانت علاقة متشعبة خاضوا خلالها العديد من الاحداث فقد اتسمت بالحرب تارة والسلام والعلاقات الدبلوماسية تارة اخرى وفقا لمصلحة الطرفان والظروف السياسية التي عاشوها . وبذلك نستنتج ان العلاقات الدبلوماسية التي جمعت الشرق بالغرب اخذت طابع سياسي في بعض الاحيان فكانت علاقة ودية قائمة على المصالح السياسية فيما بينهم، فمصلحة شارلمان الحصول على حق حماية الاراضي المقدسة ومصلحة هارون الرشيد حماية المصالح العباسية ، ويبدوا ان هذه العلاقات السياسية تجاوزت مجرد حماية المصالح ، فقد مهدت الطريق لظهور اشكال التعاون الاقتصادي والاجتماعي وهو ما سيتم تناوله في المحاور التالية .

المحور الثاني العلاقات الاقتصادية

رحب ملوك الغرب الاوربي في فكرة اقامة العلاقات التجارية مع المشرق العربي خاصة مع وجود تجار من اهل الشام واليهود في القرن الثامن الميلادي ، فكانت الرغبة تكمن في الحصول على السلع الثمينة والافادة من التجارة في تعزيز قوة الدولة اقتصاديا ، لاسيما ان أوروبا في تلك الحقبة كانت زراعية اكثر من كونها تجارية (راشد، ٢٠٢٠، صفحة ٨٩).اثارت السلع الشرقية اعجاب الغرب الاوربي وخاصة التوابل التي احتلت المركز الاول من السلع القادمة من الشرق الاقصى حتى نهاية العصور الوسطى ، واعتاد الغرب على استعمالها كعقار طبي او في عملية تتبيل الطعام وحفظه ، وبذلك بقيت بلاد الشام الهدف الاول للسفن الاوربية (الطشاني، ٢٠١١-٢٠١٢ م، صفحة ٢٩). كما استورد الاوربيون المنتوجات الحريرية ، فقد اعتادوا على استيراد الحرير من المشرق العربي او يأتي عن طريق الهبات ليتم تصنيعه داخليا من اجل شارلمان وعائلته والطبقات الدينية والغنية (راشد، ٢٠٢٠، صفحة ١٧٧). وهذا يعكس ان العلاقات الاقتصادية لم تكن معزولة بل جاءت نتيجة التقارب السياسي الذي رسخته السفارات المتبادلة بين شارلمان والعباسيين . ومثلت الحروب الصليبية من ناحية اخرى عاملا مهما في زيادة التعامل التجاري مع الشرق ، وبما ان الفرنجة مكثوا طويلا في بلاد الشام فقد تعرفوا على منتجات الشرق المختلفة واقبلوا عليها بازدياد مستمر واصبحت بلادهم على معرفة بهذه السلع التي يجلبونها اثناء عودتهم ، وقد كان التجار المسلمون الوسطاء بين سلع الشرق وبين الاوربيون وبذلك لم يكن باستطاعة التجار الغربيون الاستغناء عنهم (الطشاني، ٢٠١١-٢٠١٢ م، صفحة ٢٧).وكان للتجارة نصيب من الازدهار في الدولة العباسية اثناء حكم هارون الرشيد لاسيما بعد بناءه مدينة بغداد التي اصبحت مركزا تجاريا مهما ساهمت في ايصال الفضة العباسية الى بلاد الفرنجة ، وكان للتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الهائلة في القرن الثامن الميلادي سبب في تشجيع استيراد اعداد كبيرة من العبيد السلاف والترك للخدمة العسكرية ساعد ذلك على تطور التجارة مع الدولة الكارولنجية بسبب الازدهار الحاصل في مركز الخلافة الاسلامية (راشد، ٢٠٢٠، صفحة ٢٠٤). على ان لا نتصور انه كان بأوائل العصور الوسطى تجارة ضخمة ، فأن ما احتاجه العالم الاسلامي من متاجر أوروبا يدخل في نطاق المواد الاستراتيجية كالأسلحة والسفن والرقيق على الرغم من ان تجارة الرقيق قد حرمتها اغلب الحكومات والديانات الا انها كانت اهم فروع التجارة الداخلية في أوائل العصور الوسطى ، واذا لم يتوافر اسرى الحروب لسد احتاج هذه التجارة ، فقد جرى الالتجاء الى سرقة الاطفال او شرائهم من اباءهم بسبب الفقر والحاجة ، فشاعت تجارة الرقيق في كل مكان انذاك (العريني، ١٩٨٩، صفحة ٢٢٩). واستمرت الدولة الكارولنجية في تصدير الرقيق والسيوف والمنسوجات الصوفية سواء خام او ملابس الى الشرق مقابل الحصول الى التوابل والحرير والادوية التي اشتهر المشرق العربي بيها (راشد، ٢٠٢٠، صفحة ١٧٧)وبذلك شهد عهد شارلمان نشاط صناعي حيث كانت حركة الاستيراد والتصدير كما اشار لها المؤرخين قد شغلت جانبا مهما من الحياة الاقتصادية ، واصبحت اهم المنتوجات الصناعية التي صدرها الغرب الى العرب هي السيوف الكارولنجية ، اما باقي الصناعات الاخرى فكانت لسد الحاجة المحلية فقط ولم تكن للتصدير (راشد، ٢٠٢٠، صفحة ١٧٤).

كما عدت المنسوجات الكتانية من اهم الصناعات التي اخذتها مدينة البندقية من الشرق ، بالرغم من اهتمام اوروبا في تلك الفترة بالكتان وصناعته ، غير ان الكتان المصري كان اكثر جودة وشهرة عالمية واسعة واستمر هذا التفوق حتى القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي (الطشاني، ٢٠١١-٢٠١٢ م، صفحة ٢٨) فكان للفتح الاسلامي اثر بارز في نمو التجارة وتزايد الطلب على السلع والاتصال بالحضارة الشرقية عن طريق الحركات التجارية والثقافية ، وادى قيام الخلافة الاسلامية الى النمو الاقتصادي في العالم الاسلامي او المسيحي على حد سواء ، لان الطرق التجارية البرية غطت العالم الاسلامي واتصلت بالطرق التجارية مع اوروبا لكون العالم الاسلامي يقع في قلب العالم القديم (الاسدي، ٢٠٠٥، صفحة ٣٩٩) وبالنظر الى الجانب الاقتصادي (الزراعي والصناعي) اثناء العهد الكارولنجي والعباسي نلاحظ بينهم تشابه كبير ، الا ان الزراعة في الدولة العباسية لم تكن تعتمد عليها الدولة كدخل اساس ، لأنها اعتمدت على واردات اخرى لأنعاش الجانب الاقتصادي منها الصناعة والتجارة ، وسعى الرشيد في تخفيف العبء على الفلاحين عن طريق اقامة قانون جديد لجباية الضرائب مما ساعد على تكدس الانتاج الزراعي ورخص اسعاره ، بينما الجانب الزراعي من الاقتصاد زمن شارلمان كان فقط لسد الحاجة اضافة الى ما يعانيه الفرد من تعسف وظلم الاقطاعيين ، اما الصناعة فقد عرفت بلاد الفرنجة الصناعة المعدنية والصوفية التي قاموا بتصديرها الى الشرق ، اما باقي الصناعات فهي لسد حاجة المجتمع الاقطاعي فقط ، حيث لم يعتمد الفرنجة على الصناعة في جعلها مورد مهم من موارد الدولة عكس الدولة العباسية التي اعطت الصناعة اهمية كبيرة (راشد، ٢٠٢٠، الصفحات ١٨٣-١٨٤).ونستنتج بذلك ان العلاقات الدبلوماسية بين العرب والغرب الاوروبي اتخذت جانب اقتصادي ساعدت على التواصل واقامة العلاقات التجارية التي اسهمت في انتعاش الجانب الاقتصادي لكلا البلدان ، ويتضح من هذه العلاقة انها لم تكن تبادل سلعي فقط بل كانت امتدادا للعلاقات السياسية اسهمت في تقارب المصالح بين الدولة الكارولنجية والدولة العباسية زمن شارلمان وهارون الرشيد ، وهذا يدفع للتساؤل : هل انعكست هذه الروابط ايضا على المستوى الاجتماعي وهو ما سنعالجه في المحور الثالث .

المحور الثالث العلاقات الثقافية والاجتماعية

كان لاتصال الاوربيون مع العرب في الشرق والاندلس اثناء العصور الوسطى الاثر الكبير في تطور الفكر الاوربي ، فالأوربيون الذين عاشوا في ظلمة العصور الوسطى بدأوا يهتمون بالعلوم العربية منذ احتكاكهم بالمسلمين في الاندلس (عباسة، ٢٠١٣، صفحة ٧) وبالرغم من اختلافات الكبيرة بين المسلمين والغربيين فالديانة المسيحية تختلف عن الديانة الاسلامية واللغة اللاتينية تختلف عن اللغة العربية الا انها لم تؤثر في نقل الافكار والثقافة بين الجانبين ، حيث وجد مترجمين استطاعوا قراءة النصوص العربية وترجمتها الى اليونانية ، ولم يهتم المسلمون في ترجمة كتب الغرب المسيحي في العصور الوسطى نظرا لتخلف الغرب عن المسلمين في مجال الحضارة في بادئ الامر (العريني، ١٩٨٩، صفحة ٢٢٨). وكان بلاط الملوك وقصور الامراء المراكز الرئيسة التي انتقل منها علوم العرب وثقافتهم الى ارجاء أوروبا ، فقد احتضنت قصور الامراء في الاندلس فطاحل الشعراء وكان امراء الشمال المسيحي يقلدون المسلمين في رعايتهم للشعراء والموسيقى (عباسة، العلاقات الاجتماعية بين العرب والفرنجة وتأثيرها على الادب والفكر، ٢٠٠٥، صفحة ٩) وقد انتشرت اللغة العربية في الاندلس منذ ان استقر العرب في شبه الجزيرة الأيبيرية ، واتقن بعض سكان البلاد الاصليين اللغة العربية ولعبوا دور وسيط في نقل الكثير من بذور الحضارة العربية الاسلامية الى بلادهم (عباسة، العلاقات الثقافية بين العرب والفرنجة خلال العصور الوسطى، ٢٠١٣، صفحة ٩). واصبحت الاندلس طول فترة الخلافة العباسية خير مورد للكتب الشرقية ولم يقتصر اقتناء الكتب الشرقية على الامراء فحسب بل شمل جميع افراد المجتمع خاصة العلماء الذين يبغون الفائدة العلمية والاغنياء بهدف التفاخر بامتلاك الكتب النفيسة وتزيين مكتباتهم بها ، وقد ابدا هؤلاء عناية فائقة بنسخ الكتب الشرقية لتسهيل انتشارها في ارجاء بلادهم (شكر، ٢٠٢٠، الصفحات ٥٤٤-٥٤٥).اجمع الباحثون ان الحضارة الاسلامية عدت اعظم حضارة شهدها العالم انذاك ، فالعرب ليسوا كغيرهم من العناصر البربرية من الجرمان الذين دخلوا الامبراطورية الرومانية وخربوها ، فقد كان للعرب الاثر في تحويل البلاد التي فتحوها واستقروا فيها الى مراكز حضارية كبرى يقصدها طلاب العلم والمعرفة من مختلف انحاء البلاد وتغيرت احوال البلاد من جهل وتخلف وخراب الى نشاط فكري وتقدم حضاري وعمران شامل وازدياد في الاموال والسكان (عاشور، ١٩٧٢، الصفحات ١٠٥-١٠٦) وبذلك نلاحظ ان السفارات والبعثات بين الدولة العباسية والامبراطورية الكارولنجية ساهمت في نقل صورة عن المجتمعين ، وان تبادل الهدايا بينهم كان له بعدا اجتماعيا وثقافيا .ان الاوربيون في القرون الوسطى كانوا واثقين ان كل تقدم فكري وحضاري في بلادهم كان نتيجة احتكاكهم بالعرب المسلمين ، وقد اولوا رجال الكنيسة الافرنج المستقلين اهتمام كبير بالثقافة العربية الاسلامية على الرغم من ان المسلمين اعدائهم ، فقد كانوا يترددون على طليطلة منذ القرن الحادي عشر الميلادي ، وكان لذهابهم وايابهم اثر بالغ في تسهيل حركة التبادل الثقافي بين الافرنج في

الشمال والمسلمين في الجنوب في بلاد الاندلس ، واصبحت طليطلة المركز الرئيس الذي انتشرت منه الثقافة العربية الى كافة انحاء أوروبا (عباسة، العلاقات الثقافية بين العرب والفرنجة خلال العصور الوسطى، ٢٠١٣، صفحة ١٢).بقيت الاندلس منذ عهد الخلافة الاموية اغنى بلد في أوروبا وخاصة مدينة قرطبة التي كانت مركز اقتصادي واسع الشهرة يقصده التجار الاوربيون من كل انحاء البلاد ، وكان لمواقع الجزر التي يحكمها العرب المسلمين في البحر المتوسط الطريق المباشر في الاتصال بين الشرق والغرب ، وفي عهد الكارولنجيين توطدت العلاقات الاقتصادية والمبادلات التجارية بشكل فعال بين أوروبا والعرب المسلمين ونتج عن هذه العلاقة انعكاسات فكرية وحضارية في العالم الغربي ، لان التجار لعبوا دور وسيط في نقل الفنون والمعارف الى جانب نقلهم للبضائع (عباسة، العلاقات الاجتماعية بين العرب والفرنجة وتأثيرها على الادب والفكر، ٢٠٠٥، صفحة ١٣).نستنتج بذلك ان بلاد الاندلس لعبت دور وسيط في عملية التبادل الثقافي بين العرب المسلمين والغرب الأوروبي ، فبعد فتح بلاد الاندلس من قبل المسلمين واستقرارهم فيها نقلو مظاهر حضارتهم وعلومهم وفنونهم الى الاوربيون الذين كانوا يعيشون ظلمة العصور الوسطى من جهل وتخلف ، وبدأت اللغة العربية والدين الاسلامي في الانتشار في مختلف انحاء البلاد وبدأ المترجمون الذين اتقنوا اللغة العربية الى ترجمة كتب العرب وعلومهم ومعارفهم للاستفادة منها وهكذا انتشرت الحضارة العربية الاسلامية من الاندلس الى ارجاء أوروبا ليعم العلم والنور المجتمع الاوربي المعتم الذي عانى من التخلف والجهل قرون طوال خلال العصور الوسطى الاوربية، اسهم هذا التطور الى فتح افاق جديدة لعلاقات اجتماعية نتيجة التبادل التجاري وتطور العلاقات الاقتصادية ، كما لعبت العلاقات السياسية دور اخر في نمو وتطور العلاقات الاجتماعية والثقافية .اضافة الى ذلك فقد عدت روابط المصاهرة من العوامل الاساسية التي أدت الى انتقال مظاهر الحضارة بين الامم ، فالروابط الاسرية التي كانت قائمة بين العرب والافرنج في الشرق وفي الاندلس ساهمت الى حد كبير في انصهار الاجناس والتقارب الثقافي والاجتماعي ، وصاهر حكام الاندلس ملوك النصارى فكانت امهات بعض الملوك العرب من النصرانيات ، وكان ملوك النصارى غالبا ما يأتون الى الاندلس لزيارة بناتهم مصطحبين معهم عدد كبير من رجال الدولة وافراد العائلة المالكة وكثيرا منهم كانوا من اهل العلم والادب وباختلاطهم بالمسلمين في القصور الاندلسية استفادوا من علوم العرب وثقافتهم (عباسة، العلاقات الاجتماعية بين العرب والفرنجة وتأثيرها على الادب والفكر، ٢٠٠٥، صفحة ٨).ولا تقتصر العلاقات الاجتماعية على روابط المصاهرة والزواج فقط وانما هي ايضا علاقات تعارف وصداقة ، وعلاقة شارلمان بهارون الرشيد خير مثال على العلاقات الاجتماعية التي ربطت العرب بالغرب الاوربي خلال القرون الوسطى ، ويتضح ان العلاقات الاجتماعية لم تكن منفصلة عن العلاقات السياسية والاقتصادية بل كانت انعكاسا لها مما يبين ان الدبلوماسية لم تقتصر على حماية المصالح السياسية والاقتصادية فحسب بل شكلت جسرا للتواصل الثقافي والاجتماعي بين الشرق والغرب .وقال تعالى في كتابه الكريم (وخلقناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) (القران الكريم ، سورة الحجرات ، الاية ١٣) وهكذا كانت العلاقات الدبلوماسية بين العرب المسلمين والغرب الاوربي علاقات ودية لتعارف وتنشيط الجانب الاقتصادي وتعزيز الجوانب الثقافية بالرغم من العداء السياسي بين الجانبين بسبب تهديد العرب المسلمين لهم في الاندلس لكن هذا لم يمنع من اقامة علاقات دبلوماسية مع الشرق قائمة على مصالح سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية اسهمت في تعزيز اواصر الصداقة بين الطرفين.

الخاتمة :

اسهمت العلاقات الدبلوماسية في تطوير الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية خاصة لبلاد الافرنج ، اضافة الى كونها اسهمت في حماية المصالح السياسية فعلاقة شارلمان مع هارون الرشيد كانت لأغراض سياسية ، فقد طمح شارلمان الحصول على حق حماية الاراضي المقدسة في الشرق ، وبما ان هارون الرشيد هو خليفة المسلمين في الشرق فهو المسؤول على اعطاءه هذا الحق لذا اقام علاقات ودية معه اضافة الى رغبة هارون الرشيد حماية المصالح العباسية خاصة بعد قيام دولة معادية له في الاندلس ، واسهمت هذه العلاقات على التقارب الفكري والحضاري بين الطرفين اضافة الى التبادل التجاري التي انعشت الحياة الاقتصادية ، من ناحية اخرى فقد شكل وجود العرب في الاندلس تهديدا لشارلمان الذي سعى الى انهاء هذا الوجود فاتسمت علاقته بكونها علاقة عدائية مع المسلمين في الاندلس وودية مع مسلمين الشرق بحسب المصلحة السياسية ، وشن الطرفان العديد من الحملات العسكرية في بادئ الامر لكن للضرورة السياسية تم عقد الصلح بينهم والذي كان له الاثر في انتعاش وتطور الحياة الاقتصادية والتقارب الفكري والاجتماعي .

قائمة المصادر:

السيد الباز العريني. (١٩٨٩). *تاريخ اوربا في العصور الوسطى* . لبنان: دار النهضة العربية .

اينهارد. (١٩٨٩). *حياة شارلمان*. (عادل زيتون، المترجمون) دمشق: دار الاحسان للطباعة.

رمضان رمضائي واخرون. (١٤٣٤هجري). الصلات بين الحضارتين الاسلامية والرومانية (اعتمادا على العلاقات السياسية بين الرشيد وشارلمان). *افاق الحضارة الاسلامية اكاديمية العلوم الانسانية والدراسات الثقافية*، صفحة العدد الاول ص ٥٦.

زكرياء ابو بكر دلباني. (ايلول, ٢٠٢٤). شارلمان وسياسة التحالف مع الاعداء الامويين في قرطبة – العلاقات مع الخليفة هارون الرشيد انموذجا. *مجلة دراسات تاريخية –العدد ٤* ، صفحة ٣٢.

سعيد عبد الفتاح عاشور. (١٩٧٢). *تاريخ اوربا في العصور الوسطى*. بيروت: دار النهضة العربية.

عبد الرحمن الحجي. (١٩٨١). *التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة* . بيروت: دار القلم.

فلاح حسن الاسدي. (٢٠٠٥). الاسلام وتكوين الغرب الاوربي في العصر الوسيط (نقد نظرية هنري بيري). *مجلة كلية الاداب –جامعة بغداد العدد / ٧١* .

محمد حمزة حسين ، لبنى رياض عبد المجيد. (٢٠١٥). *تاريخ اوربا في العصور الوسطى*.

محمد عباسة. (٢٠٠٥). العلاقات الاجتماعية بين العرب والفرنجة وتأثيرها على الادب والفكر. *مجلة حوليات التراث العدد ٣* .

محمد عباسة. (٢٠١٣). العلاقات الثقافية بين العرب والفرنجة خلال العصور الوسطى. *مجلة حوليات التراث العدد ١٣* .

محمد عبد الرحيم الطشاني. (٢٠١١–٢٠١٢ م). العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبين في بلاد الشام (٤٩٠–٦٩٠ هجري/ ١٠٩٦–١٢٩١م). *رسالة ماجستير*. بنغازي، ليبيا: جامعة بنغازي.

محمود سعيد عمران. (٢٠١٣). *معالم تاريخ اوربا في العصور الوسطى*. دار المعرفة الجامعية.

محمود عبد الواحد محمود. (٢٠١٢). *شارلمان والاخرون ٧٦٨–٨١٤ دراسة في سيرته وعلاقاته الخارجية* . بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

مرتضى عبد الزهرة عبد الحسين راشد. (٢٠٢٠). *شارلمان وهارون الرشيد دراسة في الصلات الدبلوماسية والعلاقات الاقتصادية في العصور الوسطى (٧٦٨ –٨١٤)*. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة .

نور الدين حاطوم. (١٩٨٢). *تاريخ العصر الوسيط في اوربة*. دمشق: دار الفكر.

هاجر ابو قاسم محمد الهادي. (٢٠٢٠). عبد الرحمن الداخل وبناء دولة الاندلس الاموية . *مجلة كلية التنمية البشرية العدد التاسع /الجزء الثاني و (٩) الكترونيا*، صفحة ٢٦١.

هدى نوري شكر. (ايلول, ٢٠٢٠). رحلة الكتب الشرقية واثرها العلمي في الاندلس. *مجلة دراسات في التاريخ والاثار*، الصفحات ٥٤٤–٥٤٥.

List of Sources

Mr. AL- Baz AL arini (1989). History of Europe in the Middle Ages. Lebanon: Dar al-Nahda al-Arabiyya.

Einhard, (1998). The Life of Charlemagne (translated by Adel Zeitoun). Damascus: Dar al-Ihsan for Printing.

Ramadan Ramdaei and others . (1442 AH).the Connections between the Islamic and Roman Civilizations (Based on the Political Relation between Al- Rashid and Charlemagne). Horizons of Islamic Civilization Academy of Humanities cultural Studies , First Issue .

Zakaria, Abu Bakr Delbani (September 2024). Charlemagne and the Policy of Alliance with the Umayyad Enemies in Cordoba- Relations with Caliph Harun Al- Rashid as a Model . Journal of Historical Studies, Issue 4..

Saeed Abdel Fattah Ashour (1972). History of Europe in the Middle Ages . Beirut: Dar al-Nahda al-Arabiyya

Abdul Rahman Al- Hajji (1981) AndalusianHistory from the Islamic Conquest untilthe fall of Granada. Beirut ; Dar Al qalam.

Falah Hassan Al-Asadi , (2005). Islam and the Formation of the European West in the Middle Ages (A Critique of Henry Berry s Theory). Journal of the College of Arts, University of Baghdad , Issue71.

Muhammad Hamza Hussein, Lubna Riad Abdul Majeed (2015) History of Europe in the Middle Ages.

Muhammad Abbasa (2005). Social Relations between Arabs and Franks and Their Impact on Literature and Thought. Annals of Heritage Magazine, Issue 3

Muhammad Abbasa (2013). Cultural Relations between Arabs and Franks during the Middle Ages. Annals of Heritage Magazine, Issue 13.

Muhammad Abd al-Rahim al-Tashani. (2011-2012 AD). Economic Relations between Muslims and Crusaders in the Levant (490-690 AH / 1096-1291 AD). Master's Thesis, Benghazi, Libya: University of

Benghaz Mahmoud Saeed Omran (2013). Landmarks in the History of Europe in the Middle Ages, Dar al-Marifah al-Jamiah Mahmoud Abdel Wahid Mahmoud (2012) Charlemagne and Others 768-814 A Study of His Biography and Foreign Relations. Baghdad:
General Directorate of cultura Atain
Murtada Abdul Zahra Abdul Hussein Rashid (2020) Charlemagne and Harun al-Rashid: A Study of Diplomatic and Economic
Relations in the Middle Ages (814768). Baghdad: General Directorate of Cultural Affairs.
Nour al-Din Hatoum (1982) Medieval History in the Oriya of Damascus: Dar al-Fikr
Hajar Abu Qasim Muhammad al-Hadi (2020) Abd al-Rahman al-Dakhil and the Construction of the Umayyad State of Andalusia. Journal of the College of Human
Development, Issue Nine, Part Two, and (9) electronically, page 261
Huda Nouri Shukr Aylul (2020) The Journey of Eastern Books and Their Scientific Impact on Andalusia, Journal of Studies in
History and Archaeology, pages 544-545